الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد :

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه «الأصول الثلاثة» :

اعلمْ رحِمكَ اللهُ: أنَّهُ يجبُ على كلِّ مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ ثلاث هٰذه المسائل والعملُ بهنَّ:

الأولى: أنَّ اللهَ خَلَقنا ورزَقَنا ولم يتركْنا هملاً؛ بل أرسلَ إلينا رسولاً منْ أطاعَهُ دخلَ الجنَّةَ ومنْ عصاهُ دخلَ النّارَ. والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾[المزمل:١٥-١٦].

الثانية: أنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشْرك معهُ أحدٌ في عبادتِه لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[الجن:١٨].

الثالثة: أنَّ مَنْ أطاعَ الرسولَ ووحَّدَ اللهَ لا يجوزُ لهُ مُوالاةُ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ولو كان أقْرَبَ قريبٍ. والدليلُ قوله تعالىٰ: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢] .

****

فهذه الرسالة الثانية من الرسائل الثلاث التي صُدِّرت بها الأصول الثلاثة ؛ وهي رسالة عظيمة جداً ونافعة للغاية ، جمع فيها المصنف رحمه الله تعالى وغفر له مسائل ثلاثةً عظيمة يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمها ، وأن يعتقد مضمونها ، وأن يعمل بها . وهذه المسائل الثلاث التي جمع المصنف هنا رحمه الله قال عنها الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى وغفر له : «هذه المسائل الثلاث من أهم المسائل التي تتعلق بالتوحيد وحقوقه» ، فهو رحمه الله نبه على أهمية هذه المسائل من جهة ، ونبه من جهة أخرى على موضوع هذه المسائل الثلاث وأنها في التوحيد وحقوق التوحيد . وقد بيَّن المصنف رحمه الله تعالى في هذه المسائل الثلاث :

أولاً : أن الخلق لم يخلقوا سدى وهملاً ، بل خُلقوا للعبادة وأوجدوا للتوحيد ، وبعث الله فيهم الرسل دعاةً إلى الحق والهدى ، وأن من أطاعهم دخل الجنة ، ومن عصاهم دخل النار .

والمسألة الثانية : بيَّن فيها أن الشرك لا يرضاه الله بل يبغضه سبحانه وتعالى ويمقته أشد المقت ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧] ، ونهى عن ذلك جل وعلا في آيٍ كثيرة من القرآن الكريم .

والمسألة الثالثة بيَّن فيها رحمه الله ما يقتضيه التوحيد ويتطلبه من البراءة من المشركين وعدم موالاتهم ووجوب بغضهم ومعاداتهم .

فهذه رسالة عظيمة جمع المصنف فيها رحمه الله هذه المسائل الثلاث ؛ بدأها بقوله : ((**اعلمْ رحِمَكَ اللهُ**)) ، وإتيانه بـ «اعلمْ» هذا للتنبيه ، وعرفنا سابقاً أهمية هذه الكلمة وأنه يؤتى بها بين يدي الأمور العظيمة التي يتطلب المقام حسن الانتباه وتمام الإصغاء .

وقوله : ((**رحِمَكَ اللهُ**)) ؛ هذا دعاء لقارئ هذا الكتاب بالرحمة . والدعاء بالرحمة إذا أفرد يتناول غفران الذنوب الماضية والتسديد في الأعمال الآتية ، قال : ((اعلمْ رحِمَكَ اللهُ)) ، وهو هنا رحمه الله جمع بين الدلالة إلى الخير والدعاء بالخير ، وهذا عمل الناصحين ؛ الناصح يدلك إلى الخير برفقٍ وحلم وحسن بيان ويدعو لك أيضاً بالخير ؛ فهذا من علامات النصح .

قال : ((**اعلمْ رحِمكَ اللهُ: أنَّهُ يجبُ على كلِّ مسلم ومسلمة**)) ؛ قوله : «يجبُ» أي وجوباً عينياً ، لأن هذه المسائل الثلاث من الفروض العينية ، ليست فرضاً كفائياً ، وليست من العلم الذي يكفي أن يتعلمه البعض فيغنون بتعلمه الباقين عن تعلمه ، بل هو من العلم الذي هو فرض عين على كل مكلف ؛ ذكر كان أو أنثى ، ولهذا قال : ((**يجبُ على كلِّ مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ ثلاث لهذه المسائل والعملُ بهنَّ**)) ؛ «تعلم هذه المسائل» أي معرفتهن والدراية بهن والوقوف على أدلتهن مع اعتقاد ذلك والإيمان به ، يتعلم هذا الحق في هذه المسائل الثلاث العظيمة ويعتقد ما دلت عليه .

قال : ((**والعملُ بهنَّ**)) وبهذا يُعلم أن المسائل الثلاث التي سيذكرها المصنف رحمه الله كلهن من الأمور العملية ، ولهذا قال : ((والعملُ بهنَّ)) . والعمل إنما يُذكر ويُطلب في الأمور العملية التي يطلب من الإنسان فيها عمل .

وأمور الإيمان عموماً : علمية وعملية ؛ العلمية : الأمور التي إنما يطلب فيها من العبد العلم والاعتقاد ؛ مثل الإيمان بأسماء الله وصفاته ، والإيمان بربوبيته سبحانه وتعالى . فتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية هذا من الأمور العلمية ، لكن المسائل التي يتحدث عنها المصنف رحمه الله تعالى كلها أمور عملية مطلوبٌ فيها علم وإضافةً إلى العلم العمل ، وهذا منطبق على كل مسألة من هذه المسائل الثلاث . أنبه على ذلك من أجل أن نلحظ في كل مسألة من المسائل الثلاث الآتية عند المصنف رحمه الله جانب العمل الذي هو مطلوب في كل مسألة من هذه المسائل الثلاث .

قال : ((**اعلمْ رحِمكَ اللهُ: أنَّهُ يجبُ على كلِّ مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ ثلاث هٰذه المسائل والعملُ بهنَّ**)) ؛ إذاً هذه المسائل الثلاث فيها كلها جانب عملي مطلوب في كل مسألة من هذه المسائل الثلاث .

قال : ((**الأولى**)) أي المسألة الأولى من هذه المسائل الثلاث الواجبة على كل مسلم ومسلمة .

((**أنَّ اللهَ خَلَقنا ورَزَقَنا ولم يترُكْنا هملاً؛ بل أرسلَ إلينا رسولاً فمنْ أطاعَهُ دخلَ الجنَّةَ ومنْ عصاهُ دخلَ النّارَ**)) ؛ «أنَّ اللهَ خَلَقنا ورَزَقَنا» أي تفرد تبارك وتعالى بخلقنا وإيجادنا من العدم ، وتفرد تبارك وتعالى برزقنا والإنعام علينا وموالاة المنن والنعم ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾ [النحل:٥٣] ، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل:١٨] ؛ فتفرد بالخلق أي إيجاد الخلائق من العدم ، وتفرد بالإنعام والرزق والمنّ والعطاء ؛ فلا شريك له في الخلق ولا شريك له في الرزق بل هو وحده تبارك وتعالى المتفرد بذلك كله .

ولم يخلق هذا الخلق ويرزقهم سبحانه وتعالى بأنواع النعم والعطايا والمنن لم يخلقهم ليبقوا هملاً ؛ أي مُهملين معطلين من الطاعة والعبادة والذل والخضوع لله تبارك وتعالى ، ولهذا قال : ((**ولم يترُكْنا هملاً**)) ؛ أي مُهملين دون أن نؤمر أو ننهى، تنزه وتقدس تبارك وتعالى عن ذلك، قال جل وعلا: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] أي لا يؤمر ولا ينهى ، هذا أمر ينزه الرب تبارك وتعالى عنه ؛ فهو خلق الإنسان ومنّ عليه بأنواع النعم وتفضل عليه بصنوف المنن ليقوم بعبادة الله وطاعة الله ، والذل له والخضوع بين يديه ، وتحقيق التوحيد له ، وإفراده سبحانه وتعالى وحده بالعبادة وطاعته جل وعلا فيما يأمر به ، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ أي لا يؤمر ولا يُنهى ؛ فهذا أمر ينزه الله عنه .

والكفار زعموا في الله تبارك وتعالى ذلك ، ولهذا يوم القيامة إذا دخلوا نار جهنم يقال لهم وهم في النار: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ هذه كلمات يسمعها الكافر وهو في قعر جهنم ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٧] هذا يُقال للكافر وهو في نار جهنم ، وأقرأ السياق قبل هذه الآيات يدلك على ذلك ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٥] فهذه كلمات تُقال للكافر وهو في النار تقريعاً له وتوبيخاً؛ لأنه ادَّعى في الدنيا أنه مخلوق للعبث ، ولهذا أمضى دنياه وحياته كلها في اللعب والعبث ؛ لا يعبد الله ولا يذل له ولا يخضع له ولا ينكسر بين يديه وأمضى حياته كلها في اللعب فيقال له :

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي للعبث ، أي أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لا لحكمة ؟! يحتمل المعنى هذا وهذا ، والله عز وجل منزه عن أن يكون خلق الخلق عبثاً أو لعباً أو باطلاً ؛ فهذا كله أمر ينزه الله تبارك وتعالى عنه ، ولهذا في آية أخرى قال جل وعلا : ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[ص:٢٧] ؛ ظن الذين كفروا أي أن الله خلق الخلق باطلاً ، أنه خلق الأرض والسماوات باطلاً وأنه خلقهما لعباً ، فقال جل وعلا : ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؛ أي هذه عقيدة الكفار ، ولهذا يقرعون ويوبخون يوم القيامة ويبكَّتون فيسمعون في نار جهنم هذه الكلمات : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ .

الشاهد أن الله عز وجل منزه عن ذلك ؛ منزه عن أن يكون خلق الخلق عبثاً ؛ أي لا لحكمة، أو خلق الخلق ليعبثوا ويلعبوا ولا يخضعوا لله تبارك وتعالى ؛ فهذا أمر الله منزه عنه ، ولهذا قال في الآية التي مرت : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ أي هذا لا يكون ، بل لن يُترك ، يؤمر ويُنهى وتُرسل إليه الرسل ومن أطاعهم فاز برضا الله تبارك وتعالى وثوابه ، ومن عصاهم باء بسخط الله تبارك وتعالى وعقابه .

قال : ((**ولم يتركْنا هملاً**)) ؛ ومعنى أنه جل وعلا لم يترك الخلق هملاً معنى ذلك أنه خلقهم لغاية ، وهذا بينه في قوله سبحانه : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦] ، وليحقق الناس هذه الغاية بَعَث الرسل وأنزل الكتب كما قال جل وعلا : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥] ، وقال جل وعلا : ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ أي الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي قبله وبعده ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[الأحقاف:٢١] هذه مهمة الرسل وهي الدعوة إلى الغاية التي خلق الخلق لأجلها وأوجدوا لتحقيقها .

ولما كانت هذه الغاية يتم معرفة الناس بها وبتفاصيلها وبحقائقها متوقفٌ على من يبين لهم ذلك ويوضحه اقتضت حكمة الله أن يختار جل وعز من الناس صفوتهم وخيارهم ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[الحج:٧٥] فاختار جل وعلا من الناس خيارهم واجتبى سبحانه وتعالى صفوتهم وجعلهم رسلاً مبشرين ومنذرين ودعاة إلى الله سبحانه وتعالى وهُداة إلى صراطه المستقيم .

فهو جل وعلا لم يخلق الخلق هملاً بل خلقهم ليعبدوه ويوحدوه جل وعلا ويفردوه بأنواع العبادة؛ كيف يعبدونه ؟ ما تفاصيل العبادة ؟ ما أنواع القرب التي يريد جل وعلا عباده أن يقوموا بها ؟ هل من سبيل إلى معرفة الناس بها بدون الرسل ؟ أرسل جل وعلا رسلاً يبينون للناس تفاصيل الشرائع ، وكيف يعبدون الله ، وكيف يقومون بالتقرب

إليه سبحانه وتعالى على الوجه الذي يرضيه ؛ ولهذا لو أخلص إنسان العبادة لله لكنه عبَد الله بغير ما شرع ؛ كأن يقول قائل : "أنا أريد أن أعبد الله مخلصاً له الدين لكن أنا أخترع عبادات من عندي، لن أفعل العبادات التي أرشد إليها المرسلون ، بل سأعبد الله بعبادات من عند نفسي جيدة وحسنة ومفيدة ، ولن أعبد الله بالأشياء التي دعا إليها المرسلون" ؛ لا يقبل الله منه بل يرد عليه عمله ، لأنه سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه وموافقاً لشرعه ودينه الذي بعث تبارك وتعالى به رسله .

ولهذا اقتضت حكمته سبحانه وتعالى بعث المرسلين ، والمرسلون مهمتهم بيان ما أرسلوا به ، لا يأتون بشيء من عند أنفسهم بل يبلغون الناس ما أرسلوا به ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [النور:٥٤] ؛ فيأتون بالأوامر والنواهي في حدود ما أمرهم الله سبحانه وتعالى به لا يزيدون ولا ينقصون ، بلَّغوا البلاغ المبين ، وما تركوا خيراً إلا دلوا أممهم عليه ، ولا شراً إلا حذروا أممهم منه ؛ فهم رسل الله جل وعلا ، والرسول مهمته إبلاغ كلام مرسله .

إذاً الله جل وعلا لم يخلق الخلق هملاً ؛ لا حظ التدرج في البيان ؛ أولاً : بيّن أن الله خلقنا ورزقنا ؛ يعني تفرد في ذلك ، ثم بيّن أن خلْق الله جل وعلا للإنسان وإيجاده له ليس هملاً أو سدى أو باطلاً أو عبثاً أو لعباً –تنزه الله وتقدس عن ذلك كله– ، والأمر الثالث : هو أن الله جل وعلا أرسل رسلاً للعباد يبين لهم الغاية التي خُلقوا لأجلها ويبينوا لهم وجوب توحيد الله وإفراده بالعبادة ، ويبينوا لهم أنواع العبادة التي يتقربوا بها إلى الله سبحانه وتعالى ويفردوه سبحانه وتعالى بها ، ولهذا يقول : ((**بل أرسلَ إلينا رسولاً فمنْ أطاعَهُ دخلَ الجنَّةَ ومنْ عصاهُ دخلَ النّارَ**)) .

هنا الناحية العملية في هذه المسألة وهي المسألة الأولى طاعة الرسول ؛ ولهذا خلاصة هذه المسألة ومقصودها: طاعة الرسول ، لأن الله لم يخلق الخلق هملاً ولم يتركهم سدى بل أرسل إليهم رسلاً ، فما الواجب على العباد إذا عرفوا أنهم لم يُخلقوا هملاً وأنهم خُلقوا للعبادة وأن الله أرسل إليهم رسلاً يبينوا لهم ذلك فما هي مهمة العباد حينئذ ؟ طاعة الرسول .

إذاً فحوى هذه المسألة –وهي المسألة الأولى– طاعة الرسول ، والله جل وعلا يقول : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء:٦٤] ، الله جل وعلا أرسل الرسل ليطاعوا فيما يأمروا به ، وليكونوا أئمة للناس وقدوة لهم ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١] ، فالرسل هم الأئمة وهم الهداة وهم دعاة الحق والهدى وهم أنصار دين الله تبارك وتعالى ، وهم الذين يبينون للناس شرع الله ودينه ؛ فالسبيل إلى الله ونيل رضاه ودخول جنته لا يكون إلا من طريق المرسلين ، ومن طلب رضا الله من غير طريق المرسلين لن يفوز برضا الله ، لا يمكن أن يفوز برضا الله تبارك وتعالى إلا من طريق المرسلين ؛ يعرف شرع الله ودينه وماذا يريد سبحانه وتعالى من عباده من طريقهم وبواسطتهم ؛ فيعبد الله على بصيرة وعلى بينة .

فالرسل أرسلهم الله تبارك وتعالى ليطاعوا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ، والناس مع الرسل فريقين: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾[النحل:٣٦] «منهم من هدى الله» وهم الذين اتبعوا المرسلين ، «ومنهم من حقت عليه الضلالة» وهم من لم يتبعوا المرسلين ؛ أياً كان كفرهم وأياً كان ضلالهم ، من لم يتبعوا المرسلين سواء كان عناداً أو إباء أو نفاقاً أو استكباراً أو غير ذلك ، فمن لم ينقد للمرسلين ويتبع ما جاءوا به لا يفوز برضا الله سبحانه وتعالى ، لأن رضا الله ودخول جنته له باب واحد وهو اتباع المرسلين ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)) سبحان الله! من الذي يأبى؟! من الذي يُقال له : تعال أدخل الجنة يقول لا أنا لا أريد ، أنا أريد النار؟! ، ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)) أمر عجيب أليس كذلك ؟ قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ من يقال له : ادخل الجنة ويأبى يقول : أنا أريد النار ، قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ لأن هذا أمر عجيب جداً قال : ((من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)) الأمر واضح وضحه عليه الصلاة والسلام قال : ((من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)) . إذاً من يعصي الرسول عليه الصلاة والسلام معنى ذلك أنه اتخذ قرار؛ أبى على نفسه أن تدخل الجنة ، حرم نفسه من دخول الجنة ، لأن الجنة لا تُدخل إلا من طريق الرسل ، هم الذين يبينون سبيل دخول الجنة ويبينون الأمور التي ينال بها رضا الله ويُجتنب بها سخطه سبحانه وتعالى ، قال : ((من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)) ؛ يعني أبى على نفسه أن تدخل الجنة .

ومعصية الرسول عليه الصلاة والسلام على نوعين :

١. معصية له في أصول الإيمان وأركان الدين؛ وهذه المعصية يترتب عليها الانتقال من الملة والخروج من الدين .
٢. ومعصية للرسول عليه الصلاة والسلام فيما دون ذلك بارتكاب بعض الكبائر التي هي دون الشرك والكفر بالله ، أو ترك بعض الواجبات التي لا يصل الأمر بتركها إلى الكفر بالله تبارك وتعالى ؛ فهذه معصية دون ذلك وهي أيضاً يستحق بها فاعلها النار وسخط الله تبارك وتعالى عليه ، لكنه إذا دخل النار يدخلها دخول تطهير وتنقية لا دخول تخليد كما هو حال الكافر .

قال : ((**بل أرسلَ إلينا رسولاً**)) ؛ المراد «إلينا» أي نحن أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، والمراد بالرسول المرسل إلينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين صلوات الله وسلامه عليه ، وقد قال الله تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠] .

قال : ((**بل أرسلَ إلينا رسولاً**)) أي منَّ علينا بهذه المنة وأكرمنا بهذه الكرامة وتفضل علينا بهذه النعمة وهي بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لنا رسولاً وداعياً إلى الله بإذنه صلوات الله وسلامه عليه وسراجاً منيراً ، ومن نعمة الله علينا أمة الإسلام أن نبينا خير الأنبياء وأفضل المرسلين ، وخصه الله تبارك وتعالى بخصائص لم يحصل عليها ولم

يُعطها نبي قبله ، وأيضاً أكرم أمته –سبحانه وتعالى– بكرامات لم تعطها أمة من الأمم ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((نحن الآخرون الأولون)) ، فالله جل وعلا أكرمه بكرامات ومنّ عليه بعطايا لم يعطها نبي قبله وهي معروفة عند أهل العلم بخصائص النبي عليه الصلاة والسلام وأفردت بمصنفات خاصة ، وأعطيت أمته عليه الصلاة والسلام أموراً وخصائص لم تعطها أمة من الأمم قبل أمته صلى الله عليه وسلم . فيجب على المسلم أن يستشعر نعمة الله عليه وفضله سبحانه وتعالى عليه ومنَّه عليه بأن جعله من أتباع هذا الرسول الكريم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] .

فأرسل إلينا جل وعلا رسولاً رحيماً –كما وصفه الله– رؤوفاً كريماً ، ناصحاً ، أميناً ، مبلغاً عليه الصلاة والسلام البلاغ المبين ، مجاهداً في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، وما ترك خيراً إلا دلّ أمته عليه ، ولا شراً إلا حذرها منه ، نصح عليه الصلاة والسلام أتم النصح ، وبيّن أكمل البيان صلوات الله وسلامه عليه .

قال : ((**أرسلَ إلينا رسولاً منْ أطاعَهُ دخلَ الجنَّةَ ومنْ عصاهُ دخلَ النّارَ**)) ؛ منْ أطاعَهُ : أي من أطاع النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فيما يدعو إليه من التوحيد والخضوع لله وفعل أوامره والانتهاء عن نواهيه دخل الجنة ، ومنْ عصاهُ دخلَ النّارَ ؛ وهذا معنى قول نبينا عليه الصلاة والسلام : ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)) قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : ((من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)) أي أبى على نفسه دخول الجنة .

هذه المسألة كما قدمت تتلخص في وجوب طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومهَّد لهذه الطاعة بمقدمات وتمهيدات بين من خلالها أن الله عز وجل خلقنا ورزقنا ، وبيَّن أنه لم يخلقنا هملاً لا نؤمر ولا ننهى ، وأنه سبحانه وتعالى أرسل إلينا رسولاً ؛ ينتج من هذه المقدمات الثلاث نتيجة عملية مطلوبة من الجميع وهي طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأن من أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم دخل الجنة ، ومن عصى الرسول صلى الله عليه وسلم دخل النار .

ما الدليل على هذه المسألة ؟ وعرفنا فحوى المسألة ومقصودها وهو طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ما الدليل على هذه المسألة ؟

قال : ((**والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾**[المزمل:١٥-١٦])) هذا هو الدليل على هذه المسألة. والمسألة عرفناها بالممهدات والمقدمات لها وأن خلاصة هذه المسألة طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام . الدليل على وجوب طاعته صلوات الله وسلامه عليه ما هو ؟

قال : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً﴾ هو محمد عليه الصلاة والسلام ، الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم والمراد «إِلَيْكُمْ» أي أمة محمد عليه الصلاة والسلام .

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي شاهداً عليكم بأعمالكم ؛ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] أي شهيداً عليكم بأعمالكم .

قال : ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ ؛ إرسال الرسول عليه الصلاة والسلام إليكم ليس بدعاً من الأمر ؛ أمم مضت قبلكم وبُعث إليهم رسل ؛ وكانت العواقب الحميدة لمن أطاعوا المرسلين ، والعواقب الوخيمة لمن عصوا المرسلين . ومثال على ذلك – هذا مثال – مثال على ذلك لتوضيح المقام وبيان الأمر قال : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ . وهنا المثال الذي سيق هنا سيق مساق التحذير الشديد من عصيان الرسول.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾) أطيعوه ، امتثلوا أوامره ، اتبعوه ، احذروا أن تكونوا عصاةً له ، احذروا من ذلك ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ ماذا حصل له ؟ ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ ما المراد بهذا المثل ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ ؟ أي انتبهوا ، احذروا ، إياكم وعصيان الرسول فإن عصيان الرسول هلاك ودمار ، والأمثلة على ذلك في التاريخ كثيرة لا حد لها ، ومن الأمثلة هذا المثل العجيب قال : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ يعني كان موقف فرعون من هذا الرسول الذي هو موسى عليه الصلاة والسلام كان موقفه منه العصيان ؛ عصاه لم يستجب له لم يقبل دعوته ، رد وكذّب ما جاء به واتهمه بأنواع التهم ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ ماذا حصل ؟ ما النتيجة التي باء بها فرعون ؟

قال : ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ ما هو هذا الأخذ الوبيل ؟ جاء مبيناً بالقرآن في آي كثيرة منه ، والأخذ الوبيل الذي بُين في القرآن الكريم والذي حصل ويحصل لفرعون هو أخذٌ وبيل في الدنيا ، وفي القبر –في البرزخ– ، ويوم القيامة .

❖ أما في الدنيا : فإن الله سبحانه وتعالى أهلكه بالغرق ، وكان من تكبره وتعاليه وتعاظمه وتفاخره على الناس قوله فيما كان يفخر به ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف:٥١] فعاقبه الله سبحانه وتعالى بالغرق، وكان إهلاكه بالغرق عجب العجاب وآية من آيات الله سبحانه وتعالى العظيمة ، لأنه لما ذهب موسى عليه السلام ومن معه فراراً من فرعون وقصده قتلهم وانطلق فرعون وجنوده خلف موسى ومن معه إلى أن وصل موسى ومن معه إلى البحر ؛ التفت من مع موسى إلى الوراء وإذا فرعون وجنوده وعتاولته مقبلين عليهم ، عاينوا الموت ؛

البحر أمامهم محيط بهم ، وفرعون وصل إليهم بجنوده ، وهم قلة وعُزّل ولا طاقة لهم بفرعون وجنوده ، فماذا قالوا؟ قالوا ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[الشعراء:٦١-٦٢] ، البحر أمامهم وفرعون وصل إليهم وموسى عليه السلام بكل ثقة وإيمان بالله تبارك وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ ؛ فأمره الله سبحانه وتعالى أن يضرب بعصاه البحر ؛ فضرب بعصاه البحر فماذا حصل ؟ الماء السيال وقف وأصبح الماء جبالاً واقفة ، الماء السائل أصبحت جبالاً واقفة ، والأرض التي كانت رطبة ووحل وطين أصبحت يابسة ، في لحظة واحدة ضرب بعصاه البحر فوقف الماء مثل الجبال! واقف الماء مثلما يقف الجبل ، والأرض يابسة ﴿ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ﴾[طه:٧٧] الأرض يابسة يعني جافة ليس فيها رطوبة ولا وحل ، إذا نزحت الماء من وادي أو من أرض ممتلئة بالماء يبقى مكانها وحل لا ينشف إلا بعد وقت ، في نفس اللحظة يضرب فيقف الماء والأرض تيبس!! آية من آيات الله ، فيمر موسى عليه السلام ومن معه مع هذا الطريق اليبس ، والماء واقف عن يمينهم وواقف عن يسارهم ويمرون يمشون بين الماء ، الماء يرونه واقف عن اليمين وواقف عن اليسار مثل الجبال ، آية عظيمة من آيات الله سبحانه وتعالى ، والأرض يابسة! ثم يمر موسى عليه السلام ومن معه كلهم إلى الضفة الأخرى والجهة الأخرى ، ثم يأتي فرعون يريد أن يدرك موسى ومن معه ويدخل هو وجنوده ، فلما تكامل موسى ومن معه خروجاً من البحر ، وتكامل فرعون ومن معه دخولاً في البحر ؛ أمر الله الماء أن يعود كما كان ، وهلك فرعون ومن معه هلاك نفس واحدة ، هو وهؤلاء الجنود وهذه الأعداد المهيلة كلهم هلكوا هلاك نفس واحدة ؛ هذا من الأخذ الوبيل في الدنيا .

❖ في القبر – في البرزخ – كل يوم يعرضون على النار ؛ من حين موته ومن معه إلى يومنا هذا إلى أن تقوم الساعة وهم يومياً صباح مساء يعرضون على النار ، هذا من الأخذ الوبيل ، قال تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[غافر:٤٦] هذا في القبر ؛ يُعرضون على النار في قبورهم في الصباح والمساء، اليوم هذا صباحاً ومساء عُرض فرعون ومن معه على النار ، عبر القرون المديدة والسنوات الطويلة صباح ومساء يعرضون على النار ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ يعني صباح مساء ؛ هذا في القبر ، هذا من الأخذ الوبيل في البرزخ .

❖ يوم القيامة ماذا سيكون ؟ أشد ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ نكال ووبال وعقاب باء به في الدنيا ، وباء به في القبر ، ويبوء به يوم القيامة كل ذلكم لماذا ؟ لأنه عصى الرسول .

هنا يأتي سؤال : لِمَ ذكر الله لنا ذلك ؟ لِمَ ذكر لنا جل وعلا هذا الخبر؟ هل ذكره جل وعلا مجرد معلومة نتعرف عليها ؟ أَلِأجل ذلك ذكره مجرد معلومة نتعرف عليها ونعلمها ؟ لا ، في جانب عملي مطلوب منا؛ وهو أن نطيع

رسولنا عليه الصلاة والسلام ولا نعصيه ، لأن الذي يعصي الرسول يأخذه الله سبحانه وتعالى الأخذ الوبيل ويعاقبه العقاب الشديد . فالفوز برضا الله سبحانه وتعالى لا يكون إلا بطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن لم يطع الرسول أخذه الله تبارك وتعالى الأخذ الوبيل ؛ ولهذا قال الله تعالى في القرآن في باب طاعة الرسول قال : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء:١٣] ، وفي المعصية – معصية الرسول – قال : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [النساء:١٤] .

فإذاً هذا جانب عظيم وهذه مسألة كبيرة جداً ومهمة للغاية يجب على كل إنسان أن ينتبه لها وأن يعرفها وأن يعمل بها ؛ وهي: أن يدرك أن الذي خلقه هو الله، وأن الذي يرزقه هو الله ، وأن الله تبارك وتعالى لن يتركه هملاً بل أرسل إليه رسولاً ، والواجب عليه طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ولزوم ما جاء به صلوات الله وسلامه عليه، ومن أطاع الرسول دخل الجنة ، ومن عصى الرسول دخل النار .

ثم بعد ذلك ذكر رحمه الله تعالى المسألة الثانية من المسائل الثلاث .

قال : ((**الثانية: أنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشْرك معهُ أحدٌ في عبادتِه لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل**)) أي فضلاً عن غيرهما ومن هو دونهما ، لأن الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين لهم المكانة العلية عند الله والمنزلة الرفيعة عنده سبحانه وتعالى ، فإذا كان جل وعلا لا يرضى أن يُعبد معه غيره من الملائكة ، ولا يرضى أن يُعبد معه غيره من النبيين فغيرهم من باب أولى ، فالعبادة حق له ، خلق الخلق لأجلها وأوجدهم لتحقيقها ، فلا يرضى سبحانه وتعالى أبداً أن يُجعل معه شريك في العبادة ولو في شيء قليل منها ، لا يرضى ذلك سبحانه وتعالى أبداً .

قال : ((**أنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشْرك معهُ أحدٌ في عبادتِه**)) ؛ أن يُشْرك معهُ : أي أن يُجعل معه شريك ، والشريك هو المساوي والعِدْل ، فلا يرضى سبحانه وتعالى أن يُجعل معه شريك في العبادة . والعبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، فالعبادات كلها حق لله ؛ الصلاة بركوعها وسجودها ، الدعاء ، الذبح ، النذر ، الخوف ، الرجاء ..الخ ، هذه كلها عبادات وهي حق لله سبحانه وتعالى ، لا يرضى عز وجل أن يُصرف منها شيء ولو قليل لغيره؛ لا للملائكة المقربين ولا للأنبياء المرسلين ولا لغيرهم من باب أولى ، لأن مكانة الملائكة عند الله عظيمة ، ومكانة الأنبياء عند الله عظيمة ولهم جاه عند الله سبحانه وتعالى ، ومع هذا لا يرضى سبحانه أن يُجعل له شريك في العبادة وفي حقوقه ، لا من الملائكة الذين لهم مكانة عنده ، ولا أيضاً من الأنبياء الذين لهم مكانة عنده ، ولا أيضاً ممن غيرهم ممن هم دون هؤلاء بمراحل ومراحل .

قال : ((**أنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشْرك معهُ أحدٌ في عبادتِه**)) هذا فيه أن العبادة حق لله جل وعلا لا شريك له في ذلك ، قال عليه الصلاة والسلام في حديث معاذ : ((يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على

الله ؟)) قال : قلت الله ورسوله أعلم ، قال : ((حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً)) ما مفهوم هذا الحديث ((وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً))؟ مفهومه : أن من يشرك بالله يعذبه الله ولا يغفر الله سبحانه وتعالى له ذنبه ، لأنه لا يرضى جل وعز أن يُشرك به ، قال تعالى : ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥] والإسلام قائم على التوحيد ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة:١٣٠] وملة إبراهيم التوحيد ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١] . الله جل وعلا لا يرضى الشرك ولا يقبله ، وقال جل وعلا : ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] ؛ الإسلام : هو توحيد الله وإخلاص الدين له .

فهو لا يرضى جل وعلا إلا التوحيد ، أما الشرك لا يرضاه سبحانه وتعالى ؛ حتى ولو كان الذي جُعِل شريكاً مع الله ملك من الملائكة ، حتى ولو كان الذي جُعِل شريكاً مع الله نبي من الأنبياء ، ولو كان سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، الله لا يرضى سبحانه وتعالى أن يُجعل معه شريك لأن العبادة حق له وحده سبحانه ، العبادة حق لله تبارك وتعالى وحده لا شريك له فيها ، ليس لله شريك في هذا الحق ، هو حق لله جل وعلا على العبيد ؛ فلا يرضى أن يُشرك به لا من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من غيرهم .

فيما يتعلق بالأنبياء تأتيك آيات في القرآن كثيرة تبين لك أن الأنبياء لا حق لهم في هذا ، الحق لله وحده سبحانه وتعالى ، والعبادة له جل وعلا وحده ؛ ولهذا تقرأ في آيات كثيرة تبين أن هذا الأمر لله ليس للأنبياء فيه شيء ، بل الآيات صريحة مثل قوله تعالى لنبيه : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] الأمر لله جل وعلا ، وهو عليه الصلاة والسلام يبين ذلك في مقامات كثيرة ؛ يقول : ((يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً)) ، سمع مرة عليه الصلاة والسلام رجل يقول : "وفينا رسول الله يعلم ما في غد" قال : ((لا يعلم ما في غد إلا الله)) ، روى الحاكم في المستدرك أن أسيراً جيء به إلى النبي عليه الصلاة والسلام ثم أعلن توبته قال : "أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد" قال : ((عرف الحق لأهله)) ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١] ، سمع أقواماً يطرونه عليه الصلاة والسلام فقال عليه الصلاة والسلام : ((ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها)) ، وقال : ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)) .

فيما يتعلق بالملائكة تجد آيات كثيرة جداً تبين لك أن الملائكة ليس لهم في هذا الأمر حق وأنهم عبيد لله جل وعلا ، ولهذا في مقام التحذير من الشرك في سورة سبأ قال الله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ أي الملائكة ، وهذا بيان أن هذا الخلق العظيم الملائكة ليس لهم من الأمر شيء وأنهم ضعاف فقراء إلى الله سبحانه وتعالى ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[سبأ:٢٢-٢٣] ، جاءت السنة مفسرة ومبينة لهذه الآية ؛ قال عليه الصلاة والسلام : ((إذا تكلم الله بالوحي خرت الملائكة صعقة خضعاناً لقوله جل وعلا)) تصعق الملائكة ، ثم إذا زال الصعق والفزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؛ أهؤلاء تُصرف لهم العبادة ؟ يصرف لهم الذل والخضوع والانكسار والرغب والرهب والرجاء والطمع ؟ لا والله ، العبادة حق لله سبحانه وتعالى . الملائكة مع قوتهم ، مع كبر أجسامهم ، مع القدرة التي أعطاهم الله إياها ما يستحقون من العبادة أي شيء .

والناس في هذا الباب يفتنون ، وأكثر ما يفتن الناس في باب الشرك عندما يرون أشياء خارقة للعادة ، فكيف تكون حال كثير من الناس لو رأوا ملَك بقوته وشدته وما أعطاه الله من القدرة؟ سبحان الله ! فالأمر والعبادة حق لله جل وعلا . عندما يخرج الدجال في آخر الزمان يخرج على هيئة مبينة في السنة ؛ أعور ، ومكتوب على جبهته: كافر «ك ف ر» لا يراها إلا المؤمن ، ويمر على المدن وعلى القرى ويأمرهم باتباعه ، إن اتبعوه وأطاعوه أمَر السماء أن تمطر فتمطر ، يقول للسماء أمطري فينزل المطر ، ويقول للأرض أنبتي فيخرج النبات ، وإذا قال لقرية اتبعوني فأبوا قال لكنوز القرية وخيراتها اتبعيني فتمشي الكنوز وراءه ، وكل من يمر عليهم يقول : أنا ربكم ؛ هل يُصدّق ويُقال نعم أنت ربنا ويعبد ؟!

ولهذا كثير من الناس –نسأل الله العافية والسلامة والثبات على الحق– يفتنون في دينهم وتوحيدهم بالخوارق والأشياء التي تبهر على العقول ، وكم من الدجاجلة لبّسوا على العوام ، إذا كان هذا هو الدجال الأكبر ففيه قبله دجاجلة كثيرون فتنوا الناس في أديانهم ولبّسوا عليهم وكانت معهم الشياطين عوناً لهم ؛ فيأتون بأشياء خارقة للعادة فيُذهل العوام وتطيش عقولهم ثم يطيعون هؤلاء في كل ما يأمرونهم به ، ولو قالوا لهم اسجدوا لنا سجدوا لهم ، ولو قالوا لهم ادعونا من دون الله دعوهم من دون الله ، وهذا حصل في خلق كثيرون؛ يُصرفون عن التوحيد ويفتنون عما خلقوا لأجله بمثل هذه الأمور .

فلهذا من أوجب الواجبات ومن أعظم العلوم التي ينبغي على المسلم أن يتعلمها هذا العلم الذي يتحدث عنه الشيخ في هذه المسألة قال : ((**اللهَ لا يرضى أن يُشْرك معهُ أحدٌ**)) كائناً من كان بأي مبرر كان ، أي صفة كانت لا يرضى الله سبحانه وتعالى أن يشرك معه أحد ((**لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل**)) أي فضلاً عن غيرهما .

ما الدليل ؟ الأدلة كثيرة على ذلك ، لكن هذه الرسالة ليست من الرسائل المطولة التي تبسط فيها الدلائل ، هذه رسالة مختصرة ؛ ولهذا نلاحظ أن الشيخ يذكر المسألة ودليل واحد ، لأن المقام مقام رسالة مختصرة تنشر بين عموم الناس حتى يقفوا على المسألة بدليلها من كتاب الله سبحانه وتعالى ، فهذا دليل واحد من عشرات ومئات الأدلة اقتضاه مقام هذه الرسالة وهو مقام الاختصار .

قال : ((**والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾**[الجن:١٨])) «أَحَدًا» ما هي هذه الكلمة ؟ هذه نكرة في سياق النهي «لا تدعوا » نكرة في سياق النهي ؛ هل يخرج من سياق النهي أحد ؟ هل الملائكة يخرجون من هذا النهي ؟ الأنبياء يخرجون ؟ الأولياء ؟ أياً كان هل يخرج أحد من هذا النهي ؟ حاشا وكلا

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أي أحد كان لا من الملائكة المقربين ولا من الأنبياء المرسلين فضلاً عن غيرهم من المخلوقات ؛ فالدعاء –سواءً دعاء العبادة أو دعاء المسألة– هذا كله حق لله سبحانه وتعالى ليس له شريك في ذلك .

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ «الْمَسَاجِدَ» قيل أماكن السجود ، وقيل أعضاء السجود ؛ وهذه كلها لله {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ} إن كان المساجد المراد بها أماكن السجود فيكون المعنى فلا تسجدوا فيها لأحد غير الله ، وإن كان المراد بالمساجد أعضاء السجود فلا تسجدوا بها لأحد غير الله .

المساجد لله ، أي أماكن السجود لا يُسجد فيها إلا لله ((جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)) ، والمساجد أي أعضاء السجود لله لا يُسجد بها إلا لله ، قال : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ؛ أي لا تجعلوا مع الله تبارك وتعالى شريكاً في العبادة أياً كان .

فهذه مسألة عظيمة وكبيرة ومهمة ، وكم من الخلائق غفلوا عنها ! وكم من الناس صُدوا عن هذا الحق وعن هذا الهدى! بأنواع من الحيل وصنوف من الدجل والاستخفاف بعقول الجهال حتى صُرفوا عن هذا الحق المبين والتوحيد الخالص .

فإذاً من المسائل العظيمة الجليلة الكبيرة التي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعرفها: أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يُشرك معه أحد في عبادته أي أحد كان ، الدليل : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ . ولاحظ الشيخ رحمه الله في كل المسائل في هذا الكتاب وفي كل الكتب يمشي مع الكتاب والسنة خطوة خطوة ، كلمة كلمة ، حرفاً حرفا مع كلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه . إذاً هذه المسألة الثانية .

المسألة الأولى : طاعة الرسول ؛ ذكرها رحمه الله بعد مقدمات بين يديها

والمسألة الثانية : توحيد الله وإخلاص الدين له ، وأنه سبحانه وتعالى لا يرضى أن يُشرك معه أحد في العبادة .

والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .